# ظواهر الاتساع اللغوي

# Linguistic expansion phenomena

م.د. بهيجة فاضل عبد الرسول(*)

Dr.Bahija Fadhil Abdulrasole

*beheejah69@gmail.com*

## التمهيد

إنّ مـن أهم ما انمــازت به اللغة العربية بوصفها لغــة القرآن الكريم أنها أوســع اللغات ثــروة وأغناها في أصول المفـردات والألفاظ؛ لما أتيح لها من عوامل وظروف ســاعدت على اتســاع طرائــق اســتعمالها، وزيــادة مفرداتها وأســاليبها وتنوع دلالاتها، ينظر: دراسات في فقه اللغة: ٣٣٨، وفقه اللغة: ٦٢.

فكان لها في دلالاتها الكثيرة، ومعانيها، أن تمدنــا بفيض من المفـردات والمعاني؛ لما فيها من ظواهر لغويــة أو دلالية كالألفاظ المترادفة أو المشــتركة، والمتضــادة؛ ممــا دعــا علماء العربية إلــى إيلاء هذه الظواهر عناية واســعة راصدين تلك الألفــاظ مصنفين إيّاها على وفق العلاقات الرابطة بينها مؤلفين فيها كتباً مستقلة. ينظر: علم الدلالة العربية: ٧٧

## Conclusion

The Arabic language, as the language of the Qur'an, has been identified as being the widest language of wealth and the richest in the origins of vocabulary and words. Because of the factors and circumstances available to it, which helped in the pursuit of the methods of its use, increasing its vocabulary, methods and diversity of its connotations. Therefore, those who supported the occurrence of

(*) وزارة التربية/ الرصافة الأولى/ ثانوية المتفوقات

the phenomena of linguistic expansion in Arabic were aware that the Arabic language is a language that is unique among the rest of the languages in its ability to cross-pollinate, harmonize, expand and multiply studies about it. Linguists studied these phenomena under the terms: synonyms, verbal common, opposites, and rhetoric's studied these phenomena under the terms: truth and metaphor.

As for the owners of the sciences of the Qur'an, they studied them under the terms: the hermetic and the similar, meaning that each of these scholars studied these phenomena according to the term that pertains to the field of each of these sciences. Each of these phenomena occurs in the Arabic language. A distinction is made between the original meaning and the branch meaning, with the multiplicity of styles.

Perhaps those who deny its occurrence have come up with arguments that we think have strengthened the occurrence of these phenomena in our Arabic language by assimilating everything new and keeping pace with every development, and this if anything indicates that the Arabic language is a living language that coexists with every era and accepts all that is new, and it is unique to its statement Among the languages, and does not contradict the existence of these phenomena in it.

## أولاً: الترادف

ويقصد به: الاتّحاد في مفهوم الألفاظ، أو هو توالي الألفاظ المفردة التي تدل على معنى واحد باعتبار واحد، ينظر: التعريفات: ٣٧، والمزهر: ٤٠٢. مثل (القطن، والعهن) و(التبر، والذهب).

ولعل أول من أشار إلى هذه الظاهرة سيبويه (ت١٨٠ه) بقوله: (اعلم أنّ من كلامهم .... اختلاف اللفظين والمعنى واحد.... نحو: جلس وذهب). الكتاب: ١/ ٢٤.

وتبعه قطرب (ت بعد ٢١٠ه)؛ إذ عدَّ كلام العرب في ألفاظه على ثلاثة أوجه، الثاني منها هو: (اختلاف اللفظين والمعنى متفق واحد). الأضداد في اللغة: ٦٩ــــ ٧٠، وينظر: فقه اللغة: ٦٣.

ومثل له بـ: (ذئب وسيد، وأتى وجاء)، فاللفظان مختلفان ودلالتهما واحدة.

ومثله المبرد (ت ٢٨٥ه) يقول: (....؛ لأنّ من كلامهم ... اختلاف اللفظين والمعنى واحد) ، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد: ٢. ومثل له بـ (ذراع، وساعد) و(أنف، ومَرْسَنْ).

## ظاهرة الترادف بين التأييد والإنكار:

تباينت آراء علماء اللغة حول وجود ظاهرة الترادف ما بين منكر ومؤيد، فممن أنكر وجودها ينظر: في اللهجات العربية: ١٥١ــــ ١٥٣، علم الدلالة: ٢١٦ــــ ٢٢٠، وفقه اللغة: ٦٢ــــ ٦٤، والدلالة القرآنية: ٢١٤ــــ ٢١٧.:

ثعلب (ت٢٩١ه)، وأبو علي الفارسي (ت٣٧٧ه)، وأحمد بن فارس (ت٣٩٥ه)، وأبو هلال العسكري (ت٣٩٥ه) الذي صرح بعدم وجود هذه الظاهرة بقوله: (الشاهد على أنّ اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني، أنّ الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة، فعرفه، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي بما لا يفيد....) الفروق اللغوية: ١١.

ثم أخذوا يلتمسون فروق بين معاني الألفاظ، فساقوا لذلك بعض الأمثلة، نحو: قعد وجلس، فقعد تقال للذي كان قائماً ثم قعد، في حين أنّ جلس تقال للذي كان مضطجعاً ثم جلس، هذا فيما يخص الأفعال، أما فيما يخص الأسماء من ألفاظ نحو: الضرغام، القسور، الليث، أسامه.... وما إلى ذلك، فيرون أنها ألقاب او صفات للاسم (أسد).

وأغلب الظن ألّا مجال لإنكار هذه الظاهرة

مهما التُمِسَ لها من فروق بين معاني الألفاظ؛ ذلك أنَّ هذه الفروق لا يُؤْتى بها إلّا على سبيل الشرح والتوضيح والإفهام حين يستوجب ذلك، وإلّا فإنَّ الباحث عن المعنى يريد المعنى نفسه، غير آبهٍ بالشرح والتفصيل؛ فظاهرة الترادف سمة من السمات الدالّة على اتساع اللغة العربية في الكلام، وإنَّما نشأت هذه الظاهرة في اللغة العربية لفوائد منها:

ـــ التوسع في الأوزان الشعرية، وسعة التصرف في بديع النثر وجماله.

ـــ الإكثار من وسائل الإخبار عمَّا في النفس؛ فقد يُنْسى أحد اللفظين أو يعسر النطق به، فَيُؤْتى باللفظ المرادف له.

ـــ الحاجة لاستعمال السَّجْعْ، والقافية، والتجنيس، والترصيع وما إلى ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتى ذلك إلّا باستعمال المرادف لذلك اللفظ.

ـــ تنويع أساليب الكتابة طرداً للملل والسأم.

ـــ قد يكون أحد اللفظين المترادفين أبين وأوضح وأوسع من الآخر في الدلالة؛ فيكون شرحاً وإبانة للآخر الخفي.

وممن أيّد وقوع ظاهرة الترادف ابن خالويه (ت ٣٧٠ه)، والرماني (ت٣٨٤ه) صاحب أول كتاب حمل عنوان الترادف بمعناه الاصطلاحي (الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى)، وابن جني (ت ٣٩٢ه) الذي عقد لها باباً في كتابه (الخصائص) تحت عنوان (تلاقي المعاني، على اختلاف الأصول والمباني) الخصائص: ٢/ ١١٥.

وانقسم الذين أيّدوا وجود ظاهرة الترادف على قسمين ينظر: في اللهجات العربية: ١٥٢، وعلم الدلالة: ٢١٧ـــ ٢١٨، والدلالة القرآنية: ٢١٥، ومباحث في علم اللغة: ٢٣٧:

الأول: وسع ظاهرة الترادف من دون قيد أو شرط.

والآخر: قيده بشروط تحد من كثرة وقوعه، إذ يرون أنّه ليس من الترادف: السيف والصارم؛ ذلك أنّ الثانية فيها زيادة معنى، وهذا يعني أنهم ينكرون الترادف في الألفاظ الدالة على شيء باعتبارين، وهما الذاتية والوصفية، في حين أنهم يثبتون الترادف في الألفاظ الدالة على شيء باعتبار واحد، نحو: القمح والحنطة والبر.

ومن المؤيدين من يُثبت هذه الظاهرة في اللهجة الواحدة، لا في اللهجتين المختلفتين، وهذا الرأي يتفق مع ما يتجه إليه المحدثون في نظرتهم إلى الترادف.

**الترادف وأشباهه:**

يميز كثير من العلماء المحدثين بين أنواع مختلفة من الترادف وأشباه الترادف ملخصها ما يأتي:

١ـــ الترادف الكامل، أو التام؛ وهو تطابق اللفظين تمام المطابقة.

٢ــ شبه الترادف، أو التداخل، أو التقارب: وهو تقارب اللفظين تقارباً شديداً بحيث يصعب معها التفريق بينهما بالنسبة لغير المتخصصين. كما في الألفاظ:

عام ـــ سنة ـــ حول.

٣ــ التقارب الدلالي: وهو التقارب في المعاني، والاختلاف بين لفظ وآخر بملمح هام واحد على الأقل، نحو: (مشى)، و(ركض)،(حلم)، و(رؤيا).

٤ــ الاستلزام: وهو الترتب على، أو ترتب قضية على أخرى، نحو: غادر المعلم قاعة الدرس الساعة العاشرة، إذ يستلزم هذا أن المعلم كان في قاعة الدرس قبل الساعة العاشرة.

٥ــ استخدام التعبير المماثل، أو ما يسمى بالجمل المترادفة (paraphrase): ويقصد بها جملتان ذات معنى واحد في اللغة الواحدة. ويُقَسِّمُ (Nil son) هذا النوع على النحو الآتي:

أ ــ التحويلي: وهو تغيير مواقع الكلمات في الجملة، ولاسيما في اللغات التي تسمح بحرية كبيرة، قصد العناية أو إعطاء بروز للفظ معين في الجملة من دون أن يتغير أو يتأثر المعنى العام لها، نحو قولنا:

كتبَ مُحَمّدٌ الدرسَ بسرعة.

بسرعة كتبَ مُحَمّدٌ الدرسَ.

الدرسَ كتَبَهُ مُحَمّدٌ بسرعة.

مُحَمّدٌ كتبَ الدرسَ بسرعة.

ب ــ التبديلي أو العكسي، نحو قولنا: اشترى محمدٌ من علي آلةً كاتبةً ⟷ باعَ عليٌ لمحمدٍ آلةً كاتبةً.

فعلى الرغم من أنّ ظاهرَ الجملتين مختلفٌ، فإنَّهما تُشيران إلى نفس المحصلة في عالم الحقيقة.

٦ــ الترجمة: وهي تطابق التعبيرين أو الجملتين في اللغتين المختلفتين، أو في اللغة الواحدة حينما يختلف مستوى الخطاب، كأن لم يُترجم نص علمي إلى اللغة الشائعة، أو يترجم نص شعري إلى آخر نثري.

٧ــ التفسير: وذلك حين تكون (س) جملة، (ص) جملة = (س) تفسيراً لـ (ص) إذا كانت (س) ترجمة لـ (ص)، وكانت الألفاظ المكونة لـ (س) أقرب إلى الفهم من تلك الموجودة في الجملة (ص)، وعليه فكل تفسير ترجمة، والعكس لا يجوز؛ لأن درجة الفهم للغة تختلف من شخص إلى آخر. ينظر: علم الدلالة: ٢٢٠ــ ٢٢٣، ومباحث في علم اللغة: ٢٣٩ــ ٢٤١

## آراء اللغويين المحدثين حول وقوع الترادف في اللغة:

يختلف مفهوم الترادف الكامل لدى اللغويين، إذ لكل لغوي منهجه الخاص يتبعه في تعريف المعنى، وتحديد نوع المعنى الذي يتحدث عنه ينظر: علم الدلالة: ٢٢٣ــ ٢٢٤، ومباحث في

علم اللغة: ٢٤١ـــ ٢٤٥؛ لذا فلكل منهم رؤيته الخاصة:

١ـــ يترادف التعبيران في لغةٍ ما إذا أمكن تبادلهما في أي جملة في هذه اللغة من دون أن تتغير القيمة الحقيقية لهذه الجملة.

٢ـــ تترادف الكلمات التي تنتمي إلى نفس النوع الكلامي (أسماء ـــ أفعال)، إذا أمكن تبادلهما في الموقع من دون أن يتغير المعنى أو التركيب النحوي في الجملة نحو: حَضَرَ مُحَمّدٌ. مُحَمّدٌ حَضَرَ.

٣ـــ يتحقق الترادف لدى أصحاب النظرية التصورية متى ما كان التعبيران يدلان على نفس الفكرة العقلية أو الصورة.

٤ـــ يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية الإشارية متى ما كان التعبيران يستعملان مع نفس الشيء بنفس الكيفية.

٥ـــ يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية السلوكية متى ما كان التعبيران متماثلين عن طريق اتصال كل منهما بنفس المثير والاستجابة.

٦ـــ يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية التحليلية متى ما كانت الشجرة التفريعية لإحدى الكلمتين تملك نفس التركيب التفريعي للأخرى، أو متى ما اشترك اللفظان في مجموع الصفات التمييزية الأساس.

٧ـــ الترادف تضمن من عنصرين بحيث كل عنصر يتضمن العنصر الآخر وبالعكس، أي أن (أ) و(ب) يترادفان إذا كان (أ) يتضمن (ب)، و(ب) يتضمن (أ).

وقد أجمع اللغويون المحدثون على عدم جود الترادف التام أو الكامل أو التماثل، ما عدا قلة قليلة منهم سمحت بوجوده مع تضييق شديد، أو مع قليل من التجوز، ولا خلاف بينهم فيما يتعلق بأشباه الترادف.

**ولهؤلاء القلة القليلة وجهات نظر منها:**

١ـــ ما دامت الكلمات مختلفة صوتياً فلا بد من أن تكون معانيها مختلفة كذلك، وعليه فلا يوجد ترادف حقيقي، ولكن قد يكون هناك عدد من المفردات المتشابهة إلى حد كبير في المعنى وعليه يمكن تبادلهما ولكن بصورة جزئية.

٢ـــ يكتفى بصحة تبادل اللفظين في معظم السياقات، والخلاف الأسلوبي بينهما لا يمنع ترادفهما، مثل: أبي ـــ بابا.

أما د. إبراهيم أنيس فقد لخص شروط اللغويين في تحقيق الترادف الكامل أو التام على النحو الآتي ينظر: في اللهجات العربية: ١٥٤ـــ ١٥٦، وعلم الدلالة: ٢٢٦ـــ ٢٢٧، ومباحث في علم اللغة: ٢٤٣ـــ ٢٤٥:

أ ـــ اتحاد العصر، أي إذا اختلفت العصور فلا ترادف بين الألفاظ.

ب ـــ اتحاد البيئة اللغوية، وهو انتماء الكلمتين المترادفتين إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات.

ت ـــ اتفاق الكلمتين في المعنى اتفاقاً تاماً على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة في البيئة الواحدة.

ث ـــ اختلاف الصورة اللفظية بين الكلمتين بحيث لا تكون إحداهما ناتجة عن تطور صوتي، إذ ليس من الترادف (أَزَّ ـــ وهزَّ)، و(الجثل والجفل)، في حين يتحقق الترادف في مثل: آثر وفضَّلَ، وجاء وحضر، وبعث وأرسل.

أما د. أحمد مختار عمر فيخلص إلى ألّا ترادف في اللغة فيما لو أردنا بالترادف التطابق التام الذي يسمح بالتبادل بين اللفظين في جميع السياقات، من دون أن يكون هناك فرق بينهما في جميع أشكال المعنى (الأساسي، والإضافي، والأسلوبي، والنفسي، والإيحائي)، ونظرنا إلى اللفظين في داخل اللغة الواحدة، وفي مستوى لغوي واحد، وخلال فترة زمنية واحدة، وبين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة.

أما إذا أردنا بالترادف التطابق في المعنى الأساس من دون سائر المعاني أو اكتفينا بإمكانية التبادل بين اللفظين في بعض السياقات، أو نظرنا إلى اللفظين في لغتين مختلفتين أو أكثر من فترة زمنية محددة، أو أكثر من بيئة لغوية واحدة فالترادف موجود بالتأكيد ينظر: علم الدلالة: ٢٢٧، ٢٣١.

أما الفروق التي تقع بين اللفظين اللذين يدعى ترادفهما فقد لخصها (Collinson) بما يأتي:

١ـــ أن يكون أحد اللفظين أعم وأشمل من الآخر، نحو: (ملَّ ـــ سأم).

٢ـــ أن يكون أحد اللفظين أكثر حدة وأكثر قوة من الآخر، نحو: (أنهك ـــ أضنى).

٣ـــ أن يكون أحد اللفظين مرتبطاً بالانفعال أو الإثارة أكثر من الآخر، نحو: (مصباح ـــ موقد).

٤ـــ أن يكون أحد اللفظين متميزاً باستحسان أدبي أو استهجان، في حين يكون الآخر محايداً، نحو: (تقيّأ ـــ استفرغ).

٥ـــ أن يكون أحد اللفظين أكثر تخصصاً من الآخر، نحو: (حكم ذاتي ـــ استقلال).

٦ـــ أن يكون أحد اللفظين مرتبطاً باللغة المكتوبة وأكثر أسلوباً من الآخر، نحو: ( تلو ـــ بعد).

٧ـــ أن يكون أحد اللفظين أكثر عامية أو محلية

أو لهجية من الآخر، نحو: (لحّام ـــ جزار).

٨ـــ أن يكـون أحد اللفظيـن منتميـاً إلى لغة الأطفـال، أو من يتحدث إليهـم بخلاف الآخر، نحـو: (مَـمّ ـــ كُلْ). ينظـر: المصدر نفسـه: ٢٢٨ـــ ٢٢٩، ومباحـث فـي علـم اللغـة: ٢٢٥ـــ ٢٢٦.

**أسباب الترادف:**

لعل من أهم أسباب الترادف ما يأتي:

١ـــ انتقـال كثير من مفردات اللهجات العربية إلـى لهجة قريش؛ نتيجة كثرة الاحتكاك بينهما، علـى الرغـم مـن وجـود نظائرها فـي لغتها؛ الأمر الذي دعا إلى نشوء الترادف في الأسماء والأوصاف.

٢ـــ تدوين أصحاب المعاجم كثير من المفردات التي كانت مهجورة.

٣ـــ تدوين كثير من لهجات القبائل المتعددة من قبـل واضعي المعاجم، اشـتملت على مفردات غير مسـتخدمة في لغة قريـش، ولها مرادفات في متن هذه اللغة.

٤ـــ لم يعمد واضعـو المعاجم إلى التمييز بين المعنـى الحقيقـي والمعنى المجـازي، إذ توجد كثيـر مـن المترادفات لـم توضع فـي الأصل لمعانيها، بل كانت تُوَظَّفُ في هذه المعاني على سبيل المجاز.

٥ـــ انتقال كثير من صفات المسمى الواحد من معنى الوصـف إلى معنى الاسـم الذي تصفه، فالهنـدي واليماني والعضب والحسـام والقاطع كلها من أسماء السيف ويدل كل منها في الأصل على وصف يخص السـيف، يختلـف عما يدل عليه الآخر.

٦ـــ انتقال كثير من الألفاظ المولدة، والجزرية، والموضوعة، والمشكوك في عربيتها إلى اللغة العربيـة، علـى الرغم من وجـود نظائر لكثير منها في العربية.

ومن المؤلفات في الترادف:

١ـــ مـا اختلفـت ألفاظـه واتفقـت معانيـه، للأصمعي (ت ٢١٦هـ).

٢ـــ الألفاظ، لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ).

٣ـــ الألفـاظ الكتابية، لعبـد الرحمن الهمذاني (ت ٣٢٠هـ).

٤ـــ جواهـر الألفـاظ، لقدامة بـن جعفر (ت ٣٣٧هـ).

٥ـــ الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى للرماني

(ت ٣٨٤ه).

ينظر: الضامن١٩٩٠: ٦٤ــ ٦٥

## ثانياً: المشترك اللفظي

ويعنــي: انصراف الكلمة الواحدة إلى معانٍ عــدة بدلالة متســاوية علــى المعاني فــي اللغة الواحــدة. نحو: وَجَدَ إذا كنــا نقصد (الغضب)، وَوَجَــدَ إذا كنــا نقصــد وجدان الشــيء المفقود ينظر: الكتاب: ١/ ٢٤.

وكذلك لفظة (عين) تطلق على عين البئر، وعيــن الســحاب، وعين المــال، والعيــن التي يُبصر بها ....إلخ ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ٩٦.

وقــد تباينت مواقف العلمــاء حول وقوع هــذه الظاهرة في اللغــة العربية مــا بين مثبت ومؤيــد ومنكــر، موجزهــا ما يأتــي ينظر: فقه اللغة: ٦٧ــــ ٦٨، والدلالة القرآنية: ١٨١ــــ ١٨٣، ومباحث في علم اللغة: ٢٣٢ــــ ٢٣٣:

**أولاً:** قســم أثبــت وقــوع هذه الظاهرة وتوســع فيها محتجاً لها بشــواهد العربية التي لا ســبيل للشــك فيها، ومــن هؤلاء الخليــل (ت ١٧٥ه)، وســيبويه، وأبو عبيدة (ت ٢٢٤ه)، والأصمعي (ت ٢١٦ه)، وغيرهم.

**ثانياً:** قســم أيّد وقوع هذه الظاهرة واستشهد لها بالشواهد النقلية واحتج بالشاهد العقلي:

الألفاظ متناهية والمعاني لا متناهية.

**ثالثاً:** قســم تمثل بالجيل الذي جاء بعد سيبويه، وأبــي عبيــدة، وهو القســم المنكــر لوقوع هذه الظاهــرة، وقــد أرادوا أســباباً وحججــاً تدعــم رؤيتهــم في نفيها، فمنهم مَنْ يرجعه إلى ســبب تداخل اللغات، مستدلين لذلك بأنّ اللفظة في لغة قوم تعني شيئاً، في حين تعني اللفظة نفسها شيئاً آخر في لغة قــوم آخرين، فقد يتبادر إلى الذهن عنــد جمع هذه المعانــي المختلفة للفظة الواحدة أنَّ باللفظة اشتراكاً في المعاني.

وهنــاك مــن ذهــب إلى أنّ لكــل لفظة معنىً واحداً، إلّا أنّها قد تستعمل لمعانٍ أُخر وذلك على ســبيل الاســتعارة والمجاز؛ فبكثرة اســتعمالها تصبح بمنزلة المعنى الأصلــي، ويُعَدّ أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ه) رأس القائلين بهذا الرأي، وتبعه الآمدي (ت ٦٣١ه).

أمــا ابن درســتويه (ت ٣٤٧ه)، فقد أنكر الاشــتراك محتجاً بأنّه في عدم إلا بانة ــــ وهو ما يتناقض مع اللغة العربية بشكل خاص؛ لأنّها لغة البيان، وعلل ما وجد منه بأنّه تداخل اللغات بعضهــا مع بعض، أو بحــذف أو اختصار وقع

في الكلام، حتى اشتبه اللفظان.

ولا شك في أنَّ هذه الظاهرة كالتي سبقتها متأصلة في لغتنا ولها مصداق فيها، ولا تتعارض مع البلاغة والفصاحة والبيان مهما أوردوا لإنكارها من حجج، بل نراها قد رفدت الدرس البلاغي بفوائد منها:

ـــ ذيوع ظاهرة التورية، وذلك بتوظيف الألفاظ المشتركة في معانٍ غير شائعة.

ـــ استعماله في الجناس، وهو محسن بديعي لفظي يتأتى من اتِّفاق كلمتين متشابهتين لفظاً ومختلفتين معنًى، على نحو قوله تعالى: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ...)) الروم/ من الآية/ ٥٥؛ إذ وقع الجناس التام في لفظة الساعة، فالأولى يُقْصَدُ بها يوم القيامة، والثانية هي المدة الزمنية التي لبثوا فيها.

أما المحدثون فلم تخرج نظرتهم عن نظرة القدماء، إذ تباينت آرائهم ما بين مؤيد ومعارض، ومتوسط بين الرأيين من هؤلاء ينظر: مباحث في علم اللغة: ٢٣٣ـــ٢٣٤:

د. عبد الواحد وافي، إذ أقرّ بوجود ظاهرة الاشتراك في اللغة، غير أنه ينفي كثرة وقوعه، ويرجع هذه الظاهرة إلى سنن التطور، كأن يحدث في الأصوات الأصلية لِلَفْظٍ ما بعض التغير، أو الحذف، أو الزيادة وفقاً لقوانين التطور الصوتي .... فيصبح هذا اللفظ متحداً مع لفظ آخر تختلف دلالته.

أما د. صبحي الصالح فيرى أن هذه الظاهرة تتحقق بسبب تنوع الاستعمال؛ فلولا تنوع الاستعمال لما تنوع المعنى ينظر: دراسات في فقه اللغة: ٣٠٢.

ويُعدّ السياق العامل الأساس في تحديد دلالة اللفظ المشترك؛ لما فيه من قرائن كفيلة بترجيح إحدى الدلالات المشتركة.

وقد تنبه القدماء إلى ذلك؛ إذ عدّ ابن قتيبة (ت ٢٧٦ه) السياق أحد القرائن المهمة في الكشف عن المعنى المحدد للّفظ المشترك كما عقد له باباً في كتابه (تأويل مشكل القرآن) أسماه (باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٤٣٩، لخص في تسميته هذه تعريف اللفظ المشترك، وأودعه طائفة من الألفاظ مبيناً دلالتها، ولا سيما في القرآن الكريم، وإن لم يطلق على هذه الظاهرة تسميتها الاصطلاحية. وكذلك المبرد أعطى السياق عناية بالغة في تحديد المعنى المبتغى من اللفظ المشترك في القرآن الكريم ينظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد: ٨.

وأيـد المحدثون ذلـك؛ إذ يرى اللغوي الفرنســي لوروي أنّ المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات لا يطفو منها في الشــعور إلّا المعنــى الــذي يعنيــه ســياق النــص ينظر: مباحث في علم اللغة: ٢٣٥.

أمــا ســتيفن أولمــان فقد أشــار إلى أنّ نظريــة الســياق إذا طُبِّقــت بحكمــة فإنّها تمثل الحجر الأســاس في علم المعنى؛ لذا فهو يسمي السياق صمام الأمان؛ لأنّه هو الذي يتحكم في فهم معنى المشترك.

## رأي العلماء في قضية وقوع الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم

لقد كانت قضية وقوع المشترك اللفظي في القــرآن الكريم موضع خلاف بيــن القدماء ومــن ثَم بين المحدثين على حد ســواء؛ إذ أنكر بعضهــم وجــوده بحجــة أنّ المشــترك اللفظي إنْ كــان في قصد الإفْهام مــع وجود البيان فهو تطويل من دون فائدة، وإن لم يوجد فهو خلاف المقصــود، وإن لــم يكن في قصــد الإفهام فهو عبــث وقبح، فحاشــا أن يكون في كلام الله (عزّ وجل) منه ينظر: مباحث في علم اللغة: ٢٣٥.

ويــرى أغلــب علمــاء العربية مــن قدماء ومحدثين وقوع المشــترك في القرآن الكريم، إذ أُلِّفت فيه كتب سُــمِّيَت بالوجوه والنظائر ينظر: علــم الدلالة: ١٤٧ـــ ١٥٥، وفقه اللغة: ٦٦، وممن ألّف فيها ينظر: البرهان: ١/ ١٠٢:

١ـــ مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ).

٢ـــ الدامغاني (ت ٤٧٨هـ).

٣ـــ ابن الزاغوني (ت ٥٢٧هـ).

٤ـــ أبو الفرج بن الجــوزي (ت ٥٩٧هـ)، وغيرهم.

والوجــوه: اللفظ المشــترك الذي يســتعمل فــي معان عدة، كلفظ (الأمــة)، ولفظ (الإمام)، والنظائر كالألفــاظ المتواطئة، ومن أمثلتها في القرآن الكريم ينظر: البرهان: ١/ ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩:

١ـــ قوله تعالــى: (وَمَــا جَعَلْنَــا أَصْحَابَ النّــارِ إلّا مَلائِكَةً...) المدثــر/ ٣١، فكل ما ورد فــي كتاب الله تعالى من قولــه: (أَصْحَابَ النّارِ) فهم أهل النار، ســوى ما ورد فــي هذه الآية إذ المقصود بهم: خزنة النار، وهم (الملائكة).

٢ـــ قولــه تعالــى: (... وَلْيَشْــهَدْ عَذَابُهُمَا طائِفَــةٌ مِــنَ المُؤْمِنِيْنَ) النــور/ ٢، فكل ما جاء فــي القرآن الكريم من لفظ (عذاب) فالمراد منه التعذيب، ســوى ما ورد في هذه الآية؛ إذ المراد به: الضرب.

٣ـــ قوله تعالى: (... وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا...) الكهف/ ٨٢، فكل ما ورد في القرآن الكريم من لفظ (كنز) فهو المال، سوى ما جاء في هذه الآية؛ إذ المراد به: الصحف والعلم.

## أسباب نشوء المشترك اللفظي في اللغة العربية:

١ـــ اختلاف اللهجات العربية، وتدوين كثير من المعاني المختلفة للّفظ الواحد من قبل أصحاب المعاجم من دون أن ينسبوا كل معنى إلى قبيلته.

٢ـــ انتقال قسم من الألفاظ من معانيها الأصول إلى المجاز؛ بسبب قوة استخدامها حقيقة من ذلك لفظ (العين).

٣ـــ قد يحدث تطور صوتي في بعض أصوات إحدى الكلمات، فتتفق مع أخرى في أصواتها، فتتحدان وتصيران لفظة واحدة مشتركة بين معنيين أو أكثر، كإبدال الثاء من (مرث) تاءً؛ لتصبح (مرت) ومن ثَمَّ تجهر التاء؛ لمجاورتها الراء فتصير (مرد) فتماثل بذلك كلمة (مرد) بمعنى أقبل وعتا بعد أن كان معنى (مرث) قبل ذلك أَنْقَع الشيء بالماء حتى صار مثل الحساء.

٤ـــ اقتراض الألفاظ من اللغات الأخر؛ إذ قد يتشابه اللفظان المقترض والأصل مع اختلاف المعنى، مثل: السُّكر نقيض الصحو، والسَّكر: سدّ الشق، فالمعنى الأول عربي، والآخر آرامي معرب.

٥ـــ تطور دلالة الألفاظ الإسلامية؛ إذ أضافَتْ معاني جديدة لم تكن العرب قد عرفتها، مثل: الكفر، الزكاة، الهدى... الخ.

ينظر: فقه اللغة: ٦٨ـــ ٦٩، الدلالة القرآنية: ١٨٤ـــ ١٨٥، ومباحث في علم اللغة: ٢٣٥ـــ ٢٣٦

## ثالثاً: الأضداد

### الأضداد في الاصطلاح:

هو اللفظ المحتمل لمعنيين متضادين، مثل: الجون للأسود والأبيض، والسدفة: للنور والظلمة، والمولى: للسيد والعبد... إلى غير ذلك.

وبهذا التحديد لمصطلح الأضداد خرجت الأضداد اللفظية التي تتقابل فيها المعاني من دون أن يتّحدّ اللفظ، مثل: الليل والنهار، والطول والقصر، والنور والظلمة ينظر: علم الدلالة: ١٩١، وفقه اللغة: ٧٢، الدلالة القرآنية: ٢٠٢، ومباحث في علم اللغة: ٢٤٧، من حدود هذا المصطلح التي طالما أُدْخِلَتْ فيها؛ كي تشكل مصطلحاً آخر أُطلق عليه (التقابل الدلالي).

ومن الجدير بالذكر أنّ اللغويين القدماء قد تنبهوا إلى هذه الظاهرة وأولوها عناية خاصة

تمثلت في تأليف مصنفات خاصة بهذا المصطلح ينظر: علم الدلالة: ١٩٢ـــ ١٩٣، وفقه اللغة: ٧٧، ومـن هؤلاء قطـرب، والأصمعي، وابن السـكيت، وأبو حاتم السجسـتاني (ت ٢٥٥ه)، وابن الانباري (ت ٣٢٨ه)، وأبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ه)، فضـلا عما يلحظ من عنوانات أو إشـارات إليه في أثناء كتب الرواد من اللغويين أمثـال أبو عبيد القاسـم بن سـلام (ت ٢٢٤ه)، وابـن قتيبـة (ت ٢٧٦ه) وغيرهـم ينظـر: فقه اللغة: ٧٣.

ولـم يكتـف أولئـك العلماء بالإشـارة إلـى هذا المصطلـح أو التأليف فيـه، بل عقدوا موازنـة بينه وبين المشـترك توصلوا فيها إلى أن الأضداد نوع من المشـترك ينظر: الأضداد فـي كلام العـرب: ١/ ١، والمزهر: ١/ ٣٨٧، والدلالـة القرآنيـة: ٢٠٢؛ ذلـك أنّ الظاهرتين كلتيهما اشـتركتا في اتحاد اللفظ (الدال)، وتعدد المعنـى (المدلـول)، ويميـز بينهـا أنّ معانـي المشـترك مختلفـة ومعاني التضـاد متناقضة، والاختلاف أعم من التناقض؛ لذا فإن الاشتراك أعم من التضاد.

وقد أوجز أبو الطيب اللغوي هذا الفرق فـي مقدمة كتابه بقولـه: (والأضداد جمع ضد، وضد كل شـيء ما نافاه نحو: البياض والسواد، والسـخاء والبخل، والشـجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشـيء ضداً له، ألا ترى أنّ القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين، وإنّما ضد القوة الضعـف، وضد العلم الجهـل، فالاختلاف أعم من التضاد إذ كان كل متضادين مختلفين وليس كـل مختلفين ضدين) ينظـر: الأضداد في كلام العرب: ١/ ١.

## ظاهرة الأضداد بين المثبتين والمنكرين:

إنّ العلمـاء الذيـن عنـوا بظاهرة الأضداد وصنفـوا فيها يمثلـون رأي الأغلبية الذي أثبت وقوع هذه الظاهرة في اللغة، في حين أنّ هناك طائفـة أخرى مثلت رأي ثلة من اللغويين الذين أنكروا وقـوع هذه الظاهرة فـي العربية، ومن أشهرهم ابن درستويه الذي أنكر الأضداد وألف في إبطالها كتاباً أسماه (إبطال الأضداد) ينظر: المزهـر: ١/ ٣٩٦، كما أنكرها ابن سـيدة (ت ٤٥٨ه) ينظر: المخصص: ١٣/ ٢٥٩.

وانتصر الجواليقـي (ت٥٤٠ه) لهذا الرأي، وعـرض بعض الكلمات المتضـادة وحاول أن يثبـت عدم التضاد فيها مسـتنداً إلى ما بينها من فروق دلالية ينظر:علم الدلالة: ١٩٤.

وذهـب أيضـاً هـذا المذهـب أبـو الحسـن الآمدي(ت ٦٣١ه)، وألف كتاباً أسماه (الحروف من الأصول في الأضـداد) ينظر: المزهر: ١/ ٣٩٦.

وحجـة المنكريـن أن التضـاد يـؤدي إلـى التعمية والغموض اللذين يفسـدان المعنى

ويبعدانــه عــن ذهــن المتلقي الــذي يصبو إلى الوضوح ويرنو إلى الفهم.

ومــن المنكريــن كذلك لهذه الظاهرة أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب كما أطلق عليهم ابــن الأنباري؛ إذ عدوا الأضداد منقصة للعرب ومَثْلَبَــة من مَثالِبِهم واتخذوها دليلاً على نقصان حكمتهــم، وقلة بلاغتهم، وزعَمــوا أنّ ورودها فــي كلامهم كان ســبباً في كثــرة الالتباس عند المحاورة وإدارة الخطاب.

ورد عليهــم ابــن الأنباري بــأنّ كلام العرب يُصَحــح بعضه بعضــاً، ويرتبط أولــه بآخره، ولا يُعــرف منــه معنى للخطاب إلا باســتيفائه، واســتكمال جميع حروفه، فجــاز وقوع اللفظة علــى المعنييــن المتضاديــن؛ ذلك أنّــه يتقدمها ويأتــي بعدهــا مــا يدل علــى خصوصيــة أحد المعنييــن من دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد ينظر: فقه اللغة: ٧٤.

من هنا نرى ألّا مجال لإنكار هذه الظاهرة على نحو ما قررناه في الظاهرتين الســابقتين، مــن أنَّ هــذه الظواهر لم تُثر وتوســع من ألفاظ اللغة العربية فحســب، بل إنَّها قد رفدت الدرس اللغوي بدراســات واسعة وكثيرة أغنت المكتبة العربيــة وفتحــت المجال واســعاً أمــام العلماء للبحــث والتأليــف والتمحيــص فيهــا، ورصد الألفاظ الخاصة بكل ظاهرة من تلك الظواهر.

أمــا المحدثــون فقد ســار أكثرهــم على هدي القدماء في عد ظاهرة التضاد نوعاً من الاشتراك ينظر: فقــه اللغة العربيــة: ١٤١، ولم يحد عن ركب هؤلاء ســوى ثلة مــن المعاصرين، منهم د. محمد حســين، إذ عقد موازنة بين المشــترك والأضداد ملخصها:

ندرة أوجه التشابه بين المشترك والأضداد نسبة إلى كثرة أوجه الاختلاف بينهما ينظر: الأضداد في اللغة: ١٠٢.

ويقيض المحدثون من هذه العلاقة (التضاد) بين الألفــاظ؛ لِيُخْرِجُوْا بذلك كثيراً من الأضداد التــي أحصاها القدمــاء، وحملوها على أنها من بــاب المجــاز أو الاشــتراك اللفظــي أو التغير الدلالــي ينظر: في اللهجــات العربية: ١٦٨ــــ ١٦٩.

## أسباب نشوء التضاد:

١ــ دلالة اللفظ في أصل الوضع على معنى عام يشــترك فيه الضدان، ثم يتخصص هذا المعنى فــي لهجة ما كما يتخصص في اتجاه مضاد في لهجة أخرى، من ذلــك: كلمة (الطرب): الفرح والحزن، والأصل في هذا المعنى: (خفة تصيب الرجل؛ لشدة الفرح، أو لشدة الحزن).

٢ــ انتقال اللفظ من معنــاه الأصلي (الحقيقي) إلــى آخر مجازي؛ إذ قد يكــون اللفظ موضوعاً عند قبيلة ما لمعنــى حقيقي، ثم ينتقل إلى معنى

مجازي عند هـؤلاء أو عند غيرهم، لأغراض منها:

أ ــ المبالغة كإطلاق لفظ (الأمة) على الجماعة وعلى الفرد.

ب ـــ التفـاؤل، كإطـلاق لفـظ (السـليم) على المصاب وعلى غير المصاب.

ت ــ درء العين، كإطلاق لفظ (شوهاء) للفرس الجميل والقبيح.

ث ـــ التهكـم، كإطـلاق لفـظ (العاقـل) على (الجاهل).

ينظـر: فقه اللغة: ٧٥ـــ ٧٦، ومباحث في علم اللغة: ٢٤٧ـــ ٢٤٨.

ج ـــ اجتنـاب التلفـظ بمـا يُكره مـن الألفاظ، كإطلاق لفظ (المولى) على السـيد وعلى العبد، ولفظ (البصير) على الأعمى.

٣ـــ اختـلاف القبائـل العربيـة في اسـتعمال الألفـاظ: نحـو لفظ (وثـب) عند حميـر بمعنى (قعـد) وعند مضر بمعنـى (طفر) ولفظ (لمق) عند بني عقيل بمعنى (كتب)، وفي لغات سـائر قيس بمعنى (محا).

٤ــ احتمال الصيغة الصرفية (للمعنيين)، منها: صيغـة (فعيل) التي قد تأتي بمعنى فاعل، مثل: (الغريم) بمعنى الدائن والمدين.

وقـد تأتـي بمعنى (مفعـول) مثـل: (القنيص): المقنوص (فاعل) قانص.

٥ــ التطور الصوتي؛ إذ قد يحدث تغير صوتي فـي أصوات الكلمة، مثـل: (الأون) التي تطلق علـى الرفق والدعة، وعلى الإفراط في التعب، والتـي كانـت همزتها في الأصل هـاء (هون) فأصبحت تدل على المعنى وضده.

## الخاتمة

إنَّ اللغـة العربيـة بوصفها لغة القرآن قد انمازت بأنَّها أوسـع اللغات ثـروة وأغناها في أصـول المفردات والألفـاظ؛ لما أتيـح لها من عوامل وظروف سـاعدت على سـعى طرائق اسـتعمالها زيـادة مفرداتهـا وأسـاليبها وتنوع دلالتهـا؛ لذا فإن من أيد وقوع ظواهر الاتسـاع اللغوي في العربية كان مدركا أن اللغة العربية لغـة تنفرد من بيـن باقي اللغـات بقدرتها على التلاقح والتجانس والتوسـع وتعدد الدراسـات حولها؛ فاللغويون درسـوا هـذه الظواهر تحت مصطلحـات: التـرادف، والمشـترك اللفظي، والأضداد، والبلاغيون درسـوا هـذه الظواهر تحت مصطلحي: الحقيقة والمجاز.

أمـا أصحـاب علوم القرآن فقد درسـوها تحت مصطلحي: المحكم والمتشابه، أي أن كلاً من هؤلاء العلماء قـد درس هذه الظواهر على وفق المصطلح الـذي يختص به مجال كل علم مـن هذه العلوم. فكل ظاهـرة من هذه الظواهر واقعـة في اللغة العربيـة؛ وإن مُيِّزَ بين المعنى الأصل، والمعنى الفرع، مع تعدد الأساليب.

ولعـل المنكرين لوقوعهـا قد أتوا بحجج نرى أنها قد عزّزت من وقوع هذه الظواهر في لغتنا العربية باستيعابها كل جديد ومواكبتها لكل تطـور، وهذا إن دلّ على شـيء فإنه يدل على أنّ اللغة العربية لغة حيّة تتعايش مع كل عصر وتتقبل كـل ما هو جديد، وهي تنفرد ببيانها من بيـن اللغات، ولا تتعارض لوجود تلك الظواهر فيها.

## المصادر والمراجع
## القرآن الكريم


١ــ الأضداد في اللغة، د. محمد حسـين آل ياسـين، ط١ــ م دار المعرفـة، بغداد ١٣٣٩ه ــــ ١٩٧٤م.

٢ــ الأضداد في كـلام العرب، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت ٣١٥ه)، تحقيـق: د. عـزة حسـين، مطبوعـات المجمع العلمي العربي.

٣ــــ البرهان في علوم القـرآن، بدر الدين محمـد بـن عبـد الله الزركشـي (ت ٧٩٤ه)، تحقيـق: محمد أبو الفضل إبراهيـم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٩٥٨م.

٤ــ تأويل مشـكل القرآن، أبو بكر مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ه)، شـرح وتحقيق: السـيد أحمد صقـر، المكتبة العلميـة، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٠١ه ــــ ١٩٨١م.

٥ــــ التعريفـات، علي بن محمـد بن علي الجرجانـي (ت ٨١٦ه)، تحقيـق: إبراهيـم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٣ه ــــ ٢٠٠٢م، (د. ط).

٦ــــ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ه)، تحقيق: محمد علي النجار، مطالع الهيأة المصرية العامة، ١٩٩٠م، (د. ط).

٧ــــ دراسـات في فقـه اللغـة، د. صبحي الصالح، مطبعة جامعة دمشق، دمشق ١٣٧٩ه ــــ ١٩٦٠م.

٨ــ الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، د. حامـد كاظـم عبـاس، دار الشـؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤م.

٩ــــ دور الكلمة في اللغة، سـتيفن أولمان، ترجمـة وتقديـم: د. كمال محمد بشـر، ط١٠، الناشر: مكتبة الشباب، مصر، ١٩٨٦م.

١٠ــــ الصاحبـي فـي فقـه اللغـة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بـن فارس (ت ٣٩٥ه)، تحقيق: مصطفى الشـويمي، مؤسسـة بدران للطباعة والنشـر، بيروت ــ لبنان، ١٣٨٣ه ــــ ١٩٦٤م.

١١ــ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر، الكويت، ط٥، ١٩٩٨م.

١٢ــــ علم الدلالة العربية، النظرية والتطبيق، د. فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٧٣م.

١٣ــ الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري الحسن بن سهل (ت ٣٩٥ه)، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٣ه.

١٤ــــ فقه اللغة، د. حاتم الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، سلسلة المناهج الدراسية، جامعة بغداد، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل.

١٥ــــ فقه اللغة العربية، د. كَاصد الزيدي، وزارة التعليم العالي، جامعة الموصل، ١٩٨٧م.

١٦ــــ في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣، (د. ط).

١٧ــ الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه (ت ١٨٠ه)، تحقيق: عبد السلام هارون، ج١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.

١٨ــــ ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد، المبرد، محمد بن يزيد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٥٠ه.

١٩ــــ مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، جامعة الشارقة، ٢٠٠٨م، (د. ط).

٢٠ــ المخصص، ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت ٤٥٨ه)، ج١ــــ ١٥، تحقيق: لجنة التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢١ــــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ه)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار الجيل ودار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د. ط).